حقيقة الإسلام

للأستاذ خليل جمعة الطوال

« ... أنا لست مسلماً ولكن ذلك لا يمنعني من أن أقول في الاسلام الحق . ولقد دفعني إلى هذا ما شاع بيننا نحن المسيحيين — عن طريق المبشرين وانكشارية الدين المأجورين — من أن الاسلام دين كاذب قام على السيف وأصارحك أني كنت على هذا الرأي حتى تنبهت إلى فضائل الاسلام عن طريق الرسالة الغراء ، ثم عن طريق القرآن الشريف . لذلك آليت على نفسي أن أعوض عن عدم إسلامي بنشر فضائل الاسلام بقلمي ولساني »

خليل جمعة الطوال

« الإسلام دين بربري قام بقوة السيف ... »

« فولتير والخصوم »

بهذه الحجة الواهية يتثال على الإسلام خصومه ليشوهوا جماله ، وينالوا من روحه الكبرى ، وينتقصوا من تعاليمه السامية. وبهذه الحجة أيضاً يتذرع أهل الجهالة والزيغ ، إذ يصمون صاحب الرسالة العربية بالكذب والشعر والكهانة ، ويدعون أنه مؤسس ديانة بربرية كاذبة ، تنافى مبادئها روح الحضارة ، وتقف تعاليمها حائلاً دون تقدم المدنية . ولو أنهم خلوا إلى أنفسهم ، ونفضوا عنها غبار التعصب ، ودرسوا تعاليم الإسلام ، وتدبروا آياته فى هدأة من أغراضهم الذاتيـة ، لانجابت عن بصائرهم سدف الأرجاف ، ولانجلى عن قلوبهم خبث الصدور وصدأ الباطل

يزعمون أن الإسلام قام بقوة السيف ... ويتمسكون بهذا الزعم على أنه حقيقة واقعة لا غبار عليها . ولكن فاتهم أن القوة التى أعزت الإسلام فى بدر ، والقادسية ، واليرموك ، والتى غزا بها المسلمون — على قلة عددهم وضعف عدتهم — وعتادهم العالم ، وأمعنوا فى جهاته الأربع بالفتح والاستعمار ، حتى وسعت إمبراطوريتهم ثلثي الكرة الأرضية — لم تكن إلا قوة إيمانهم بعقيدتهم الجديدة ، عقيدة التوحيد بالله وعدم الشرك به ، تلك العقيدة السامية التى استمرأوا فى سبيلها النكبات ، وتجشموا الأخطار والمصائب ، فما لانت قناتهم ، ولا خضدت شوكتهم ، ولا هانت قوتهم . ولئن قام الإسلام ببضعة أسياف ونفر من الرجال ، لقد قاومه أعداؤه المشركون بآلاف الصوارم ، وكتائب الأبطال . وما انتصاره عليهم إلا انتصار الحق على الباطل ، وما هزيمتهم أمامه إلا هزيمة القوة المادية أمام قوة الإيمان الروحية

تبارك الله !! رجل يقوم ضد أمة ، فكأنه بقوة إيمانه — وهى كل ذخيرته — أمة بأسرها . فيغلبها حيناً وتغالبه أحياناً ، ثم ينصر الله عبده ، ويعز كلمته ، فإذا القوم يسارعون فرادى وجماعات ليستظلوا تحت راية حقه ، وليسترشدوا بنوره ، ويهتدوا بهدايته ، وإذا محمد رسول الله ، ورجل الحق ، وعدو الكفر يقف فيهم خطيباً عند باب البيت ليعلن فيهم مبدأ الإخاء والحرية والمساواة ، فيقول : لا إله إلا الله وحده لا شريك له . صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده . ألا كل مأثرة أو دم أو مال يدعى فهو تحت قدمىّ هاتين إلا سدانة البيت وسقاية الحاج . يا معشر قريش ! إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء . الناس من آدم ، وآدم خلق من تراب . يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم

تلك هي مبادئ الإسلام السامية التى اهتزت لها أصنام الوثنية وهيا كلها ، بل تلك هي عدة المسلمين التى فتحوا بها العالم والتى لم تغن عنها « يوم تور » جيوشهم اللجبة الجرارة وأسلحتهم الوفيرة المدمرة

بمثل هذه المبادئ قام الإسلام يرشد الناس بنور الهداية ، وحسن الموعظة ، ولم يلجأ إلى السيف إلا دفاعاً عن حوزته ، وإشفاقاً على رسالته ، من أن تصبح مضغة استخفاف يلوكها أهل الكفر والالحاد مدى العمر . وأى شريعة سماوية جديدة قامت ولم يؤيدها السيف في انتشارها ؟ أهي اليهودية وقد كانت تأمر برجم كل خارج على الناموس ؟ ... أم هى المسيحية وما زالت محاكم التفتيش بأقبيتها المروعة المظلمة يتردد صداها فى الآذان ، وترتعد من فظائعها الأبدان ؟ ولم نذهب بعيداً فى الاستدلال والتاريخ مفعم بذكر الكثيرين من ضحايا المسيحية — أو قل على الأصح إنكشارية المسيحية — ومجازرها ؟ وحسبك

منها مجزرة القديس « سان برثلمو » التي قتل فيها (٢٥٠٠٠) نفس ، ومجزرة شارلمان بقبائل السكسون التي سالت فيها الدماء البريئة أنهارا ؛ وما ارتكبته جيوش فيليب الثاني ملك أسبانيا وحامي ذمار الكاثوليكية في هولندا من الفظائع وضروب التمثيل التي تهتز لهولها الرواسي ، وتشيب لمنظرها النواصي . وما فعله الامبراطور فرديناند الثاني وهو من أسرة هبسبرج حين حاول أن يستأصل شأفة البروتستينتية في ألمانيا ، فأرسل إليها جيوشه اللجبة ، التي أخذت تعمل السيف في الرقاب والعباد ، والنهب في البلاد ؛ واختل الأمن ، فأبيحت الأعراض ، وأزهقت النفوس البريئة ، وخرب خمسة أسداس المدن والقرى الألمانية ، وتناقص عدد السكان فيها ، حتى صار أربعة ملايين بعد أن كان ثمانية عشر مليوناً

ولم نذهب بعيداً وفي الأمس تراجع البابا تلك الذكريات المؤلمة ، فبكى وانتحب لها ، ولأن أهل رومية قد أقاموا « لبرونو الايطالي » الذي أحرقته محاكم التفتيش بالنار والقطران ، في حفل رائع من رجال الإكليروس ، تمثالاً عظيما في المكان الذي أحرق فيه ضحية لتزمت العصر ، وكفارة عن حرية الفكر

ولم تكن البروتستنتية على حداثة عهدها لتختلف عن الكاثوليكية بشيء من حيث تفتيش الضمائر ومحبآت الصدور ، واضطهاد أبطال الحرية الفكرية بالسجن حيناً وبالحرق أحياناً ، فتلك النيران المخيفة التي التهمت جثة « سرفيتوس الاسباني » ما يزال مشهدها ماثلاً أمام عيني كلفن وهو في جدثه ، وما تزال تلك الذكرى تنتاش جثته الهامدة ورمته البالية

لقد اضطهدت المسيحية على اختلاف مذاهبها خلقاً كثيراً من ذوي الحرية الفكرية على حين كان الإسلام على درجة بعيدة من التسامح ؛ ولنا من أبي العلاء المعري أكبر دليل على ذلك ، فقد شك هذا الفيلسوف العظيم في جميع الأديان ، واتهم بالكفر والالحاد ، ومع كل ذلك فقد عاش آمناً مطمئناً على حياته ، ولم ينله من الحكومات الإسلامية أدنى أذى مع أنه قد تمادى في كفره وشكه لدرجة تكفي للحكم عليه بالقتل والحرق

ومن الحق هنا أن نسجل أن جميع الديانات حتى الوثنية منها تأمر بالخير والإحسان وأن المسيحية لم تبح سفك الدماء واضطهاد الأبرياء ، ولكن ما العمل وقد اضطهدت هذه النفوس البريئة باسمها ! وذلك إرضاء للنفوس الدنيئة ، والأطماع السافلة !!

لقد قام الإسلام يدعو إلى التوحيد ، فأعطى أهل الكتاب الحرية التامة في إقامة شعائرهم الدينية ومعتقداتهم ، ولم يعمد إلى السيف في إخضاع المشركين وردهم إلى حظيرة الإيمان بالله إلا إذا أبوا أن يلبوا دعوة الله بالحجة البينة ، والموعظة الحسنة ، واختاروا الحرب

أفبعد هذا يزعمون أن الإسلام دين كاذب ؟ ! ليت شعري ، أية كذبة تماشي العصر ، وتساير الزمن ، وتعيش مع الدهر — بين الخصوم — أربعة عشر قرناً ، وتتطلى تمويهاتها على أربعمائة مليون من الناس ، وتظل عندهم طيلة هذه الأحقاب موضع الإجلال والإكبار ، تهز قلوبهم للرحمة وأكفهم للخير ؟

ألا إن الإسلام بريء مما نسب إليه ، فهو دين عربي صادق يدعو إلى توحيد الله دون أن يلجأ إلى التواء المنطق وغث التأويل . « ولئن فاتني حظي من النسب ، لن يفوتني حظي من المعرفة »

هذا هو الإسلام الذي قال فيه شاعر الألمان وأعظم عظمائهم « جايتي » : إذا كان ذلك هو الإسلام فكلنا إذاً مسلمون . نعم كل من كان فاضلاً شريف الخلق فهو مسلم

(شرق الأردن) خليل جمعة الطوال

مجموعات الرسالة

تباع مجموعات الرسالة مجلدة بالأثمان الآتية

٥٠ السنة الأولى في مجلد واحد

٧٠ كل من السنوات الثانية والثالثة والرابعة والخامسة في مجلدين

وذلك عدا أجرة البريد وقدرها خمسة قروش في الداخل وعشرة قروش في السودان وعشرون قرشاً في الخارج عن كل مجلد